

ازمة الوعي الديني في عالم معولم

The crisis of religious consciousness in a globalized world

الدكتور عبد القادر تومي

جامعة الجزائر 2

mouradresearch@gmail.com

تاريخ النشر: 2026/03/01

تاريخ القبول: 2025/12/26

تاريخ الاستلام: 2025/12/22

Summary

The topic of religious consciousness is considered one of the important topics in various studies, and sociological studies have received great attention in it because consciousness is formed in a specific social context, and it has a major role in bringing about social change and development, either negatively or positively, because the ideas that are formed among members of society in a specific historical period may help the development of society, or may be an obstacle to this development.

Keywords: Religious awareness, Globalization, Society

*المؤلف المرسل: الدكتور عبد القادر تومي

يعتبر موضوع الوعي الديني من الموضوعات الهامة في مختلف الدراسات وقد نالت فيه الدراسات السوسيولوجية اهتماما كبيرا لأنه أي -الوعي- يتشكل في ظل سياق اجتماعي معين، وله دور كبير في إحداث التغيير والتطور الاجتماعي، إما بشكل سلبي، أو بشكل إيجابي، لأن الأفكار التي تتكون لدى أفراد المجتمع في فترة تاريخية معينة قد تساعد على تطور المجتمع، وقد تكون عائق لهذا التطور.

واعتبر لوسيان جولد مان الوعي عملية دينامية ومحافظة في الوقت نفسه، فهي دينامية عندما يحاول الإنسان مد نشاطاته إلى العالم الخارجي من حوله، ومحافظة عندما يحاول أن يحافظ على بناءات الفكرة الداخلية "(عبد المعطى، 1981، ص 46

وتتجلى في مجتمعاتنا مظاهر الوعي الديني بصورة واضحة نجدها في مختلف المنابر والمواقع سواء في صورته السليمة أو صورته المزيفة ففي الوقت الذي نلاحظ فيه أفرادا ملتزمون بدينهم وفق الاحكام الشرعية و يتقيدون بالمقاصد الشرعية التي أنزلت لأجلها الكتب، وأرسلت الرسل، والمتمثلة في عبادة الله على عقيدة صحيحة، وتوظيف النصوص الشرعية في تحقيق العبودية الكاملة لله تعالى، وهؤلاء يبنون وعيهم الحقيقي على الجوهر من الدين وليس المظهر، نلاحظ تنامي ظواهر أخرى في نفس المجتمع مثل الغش التجاري، واحتكار السلع، والفساد والرشوة، وانفلات الأخلاق، مع مختلف الموبقات والمعاصي التي تنتشر في المجتمع، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن ثمة أزمة في الوعي الديني لدى بعض أفراد ، وأن ثمة قصور في فهم دلالات النصوص وأحكامها، والتعامل مع ظواهر الأشياء و جوهرها، مما أدى إلى خلق وعي ديني زائف أو بصورة أخرى تزييف للوعي الديني .

وعلى العموم ان أحوال المسلمين تبدلت لأسباب كثيرة بعضها ذاتي وبعضها الآخر موضوعي. ورغم ان الانحدار يختلف من فترة لأخرى الا ان الأسباب الكبرى تتمثل في الابتعاد عن النهج الرباني وغياب الفاعلية وفقدان الهمة الحضارية ، وعدم الوعي الكامل بمقتضيات النهوض الحضاري، وسيادة النزعة الفردية والانانية فضلا عن تفكك الروابط الاجتماعية، وكذا الفصل بين التنظير والممارسة ، عدم أهلية الإنسان المسلم لتجاوز رواسب التخلف والانحطاط، وعدم الاستفادة من التجارب الإنسانية الأخرى، وعدم الوعي بسننية التطور الحضاري وعدم توظيف العلم كآلة للنهوض الحضاري وغياب التخطيط والإشراف في استعادة الفعالية الحضارية. ولاحت في الأفق الكثير من الأفكار التي تشكلت اما من الفهم الخاطئ للدين او الفهم الناقص له او الاستعمال المتعسف للدين أو من تسييس الدين.

تساؤلات الدراسة

ما ماهو مفهوم الوعي ؟ والوعي الديني ؟

ما هي مظاهر الوعي الديني في مجتمعاتنا العربية الإسلامية ؟

ماهي مصادر الوعي الديني لدى الافراد ؟

ماهي مخاطر الوعي الديني الزائف؟

ما الحل ؟

مقاربة مفاهيمية

مفهوم الوعي

كلمة الوعي في اللغة

في لسان العرب الوَعْيُ: حَفِظُ الْقَلْبِ الشَّيْءَ. وَعَى الشَّيْءَ وَالْحَدِيثَ يَعِيهِ وَعْيًا وَأَوْعَاهُ: حَفِظَهُ وَفَهِمَهُ وَقَبِلَهُ، فَهُوَ وَاعٍ، وَقُلَانٌ أَوْعَى مِنْ قُلَانٍ أَيْ أَحْفَظُ وَأَفْهَمُ.

الْوَعْيُ : الفقيه الحافظ الكيسُ وفي حديث أبي أمامة: لَا يُعَذِّبُ اللَّهُ قَلْبًا وَعَى الْقُرْآنَ; قَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ: أَيْ عَقَلَهُ إِيمَانًا بِهِ وَعَمَلًا

رَجُلٌ وَعِيٌّ بِمَشَاكِلِ الْبِلَادِ : عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْهَا، عَارِفٌ بِهَا وَبِأَسْبَابِهَا، وَاعٍ

ويقال الوَعْيُ :الفهم وسلامة الإدراك

الْوَعْيُ (في علم النفس) : شعور الكائن الحي بما في نفسه وما يحيط به .

عرّف قاموس كامبريدج الوعي بأنه» حالة فهم وإدراك شيء ما .«يعرّف قاموس أكسفورد الحي الوعي بأنه «حالة دراية المرء بمحيطه والاستجابة له»

كلمة الوعي في الاصطلاح

الوعي كمفهوم نشأ ليعبر ويدل على الإدراك والمعرفة، أما اليوم فقد أصبح مقياسا للتنمية

الاجتماعية على مختلف الأصعدة، وهو مفهوم ومعنى شمولي لكنه قابل للتجزأة في إطار التخصصات المختلفة كقولنا الوعي الصحي او الوعي البيئي او أي نوع اخر.

ويعرف بالصفة التي يلحق به، وبذلك بات موضوع الوعي موضوعا جذابا للعديد من الاختصاصات العلمية مثل علم النفس والعلوم الاجتماعية والإنسانية وغيرها، وللوعي أنواع تتداخل فيما بينها وتكمل بعضها منها الوعي الاجتماعي، السياسي، الصحي... إلخ، وما يهمنا في مداخلتنا هنا هو الوعي الديني

مفهوم الوعي الديني

فالوعي الديني يعتبر ضرورة مجتمعية فكما أن للدين وظائف عديدة في المجتمع، أهمها الحفاظ على المجتمع وهذه وظيفة جوهرية للمجتمع الإنساني.

ففي القرآن قال عز وجل: «إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ (11) لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ» (الحاقة : 11 – 12).

المقصود «وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ»؛ أي: يعقلها أولو الألباب واهل التفكير الصائب والفهم الصحيح

فَإِنَّ صِحَّةَ الْفَهْمِ وَسَلَامَةَ الْقَصْدِ مِنْ أَعْظَمِ نِعَمِ اللَّهِ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- عَلَى عَبْدِهِ، بَلْ هُمَا أَجَلُ نِعَمِ اللَّهِ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- عَلَى الْعَبْدِ بَعْدَ نِعْمَةِ الْإِسْلَامِ الْعَظِيمِ.

ذلك أن استخدام الإنسان لحواسه وتفكيره هو الذي يوجد العلم ويجعل الإنسان يفكر وينتج، يحكم ويستنتج، يؤسس ويبني، يصحح ويصوب، يرتقي ويسمو، يميز ويختار..وفي النهاية يساهم في تنمية المجتمع وتطوير البلد وعليه فان تغيير المحيط مشروط بتغيير الذات وربطها بالمقاصد الحقيقية للحياة

قال تعالى ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ﴾ [الرعد: 11]؟

وقوله: ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ﴾ [الأنفال: 53]

لا يقاس غنى المجتمع بكمية ما يملك من (أشياء)، بل بمقدار مافيه من (أفكار) هكذا قال مالك في شروط النهضة، ان الإنسان باعتباره العنصر المحوري سيظل عاجزا عن (الإمكان الحضاري) مالم يستند إلى فكرة دينية تُوسع أفاقه وتصورته للوجود، وتربط غاياته بما وراء العالم المادي المحسوس، وذلك لأن: "الفكرة الدينية [هي] التي رافقت دائما تركيب الحضارة خلال التاريخ"¹. والامثلة في التاريخ البشري كثيرة في هذا الشأن. غير ان ابن نبي وهو يتحدث عن الفكرة الدينية يقصد المعاني الروحية التي تمزج وتركب العناصر الاساسية في التاريخ.

ورغم ضرورة الإنسان والتراب والزمن كعناصر مادية أولية، باعتبارها تمثل: "رأس مال الأمة الاجتماعي الذي يمدّها في خطواتها الأولى في التاريخ"². غير أن هذه العناصر: "تبقى ساكنة ما لم تتدخل الفكرة المركبة التي تعطي العناصر الأولية فعاليتها الروحية في التاريخ"، يُشكل دور الفكرة الدافعة، التي تحرك فاعلية الإنسان، للتفاعل مع العنصرين الآخرين، التراب كإمكان حضاري، والزمن كرأس مال اجتماعي، وبذلك تلعب الفكرة الدينية دور: "العامل الذي يمزج هذه العناصر الثلاث، فيكون منها الحضارة"³.

ماهي مظاهر الوعي الديني عند الأفراد؟

¹ مالك بن نبي، "شروط النهضة، ص: ص: 46.

² مالك بن نبي، "شروط النهضة، ص: ص: 50.

³ مالك بن نبي، "شروط النهضة، ص: ص: 50.

يعتبر التدين من أبرز مظاهر الوعي الديني ولا شك أن هنالك ولله الحمد الكثيرين من الفئة الواعية بدينها، الملتزمة في تدينها والمتسامية بأخلاقها والعارفة بأمور الحلال والحرام ، لكنك أيضاً تجد فئات أخرى من المحسوبين على التدين لكن وعيهم بالدين ناقص او مغلوط أو مزيف وهم يخلطون أولويات التدين، فيرتبونها بحسب مزاجهم أحياناً او مصالحهم أحياناً أخرى ليظهروا أمام أنفسهم أنهم متدينون وذلك من خلال لعبهم على وتر ميكانزمات الدفاع عن الذات، ومن سبل الخداع والتغطية ما نجده عند المراهقين مثلاً تجد شخصاً ما يلتزم بمظاهر شكلية من التدين كي ينسي نفسه خلقه البذيء مع الآخرين. وهذه من الحيل النفسية للتدين هي شائعة بامتياز في مجتمعاتنا، فهناك العديد ممن يمارس محرمات صريحة لكنه يغطيها بالتشبث بمظاهر دينية ليشعر نفسه بالكمال التديني ولكي يعزز صورته مع نفسه بأنه كامل.

أحد اليابانيين عندما مكث في أحد الدول العربية، وصف أهلها بقوله: «هم متدينون بشدة، وفاسدون بشدة» وعندما تحلل هذه المقولة المتناقضة من خلال ميكانزمات الدفاع عن النفس تجد أن الأمرين ممكنان: التدين والفساد، فحيث يكون الفرد فاسداً في تعاملاته المادية والإدارية والخلقية، تجده متمسكاً بشدة بأحد الشعائر التعبدية، فلا عجب أن تجد رجلاً يتوجس من سماع الموسيقى وهو أكبر الغشاشين، ولا عجب أن تجد من يركز على مسألة السدل والقبض وهو يمارس كل أنواع الغش. مثال (الصيني مع التجار) هؤلاء الذين يجمعون المتناقضات لا يشعرون بالتناقض كون ميكانزم الدفاع عن النفس حاضرة في نفوسهم وبشدة.

وقد استخدم محمد الغزالي رحمه الله مصطلحاً استعمله في عدة مواقع من كتبه وهو (التدين المغشوش)، وعندما استعمل هذا المصطلح فإنه كان يشير إلى ذلك النوع من الممارسات الدينية التي لا تنعكس على سلوك المرء أخلاقاً فيقول: "عندما يتحول التدين إلى حركات بدن، وإتقان شكل، فإن حقيقته تضيع وغايته تبعد أو تتلاشى. المعنى الأصيل للتدين أن يكون حركة قلب، ويقظة فكر، أما المراسم الجوفاء والصورة الشاحبة فلا دلالة لها على شيء، ومن عجز عن تصحيح قلبه ولبّه فهو عما سواهما أعجز، ويوم يتولى عملاً ما في المجتمع فسوف يكون نموذجاً للفشل لأنه لن يدفع تيارات الحياة إلى حيث يجب، بل ستدفعه هذه التيارات إلى حيث تشاء. وهنا الهزيمة الشنعاء للدين والدنيا". [من كتاب علل وأدوية]

يعبر التدين المغشوش على وعي ديني ناقص يجعل التدين في السلوكيات الدينية الطقوسية والتي تمارس في أوقات معينة مع إغفال الواجبات الأخرى، إذ إن صاحبه ينظر إلى الدين إما على أنه طقوس شكلية تؤدي دون غايات، أو أنه ينظر إليه من منظور الربح فيلجأ إلى القيام بالأعمال التي يظن أنها -حسب رأيه- تكسبه حسنات فيكثر منها مع إغفاله لواجبات أخرى علماً أن غاية الدين هي إتمام بناء الأخلاق.

وكلنا يحفظ حديث رسول الله عليه الصلاة والسلام: (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق) [أخرجه أحمد في المسند والبخاري في الأدب المفرد].

وكذلك قول المعصوم صلى الله عليه وسلم: «المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاته وزكاته وصيامه، وقد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه من الخطايا أخذ من خطاياهم فطرح عليه، ثم طرح في النار.»

من معالم التدين المغشوش هو: تقديم المصلحة الدنيوية على المصلحة الأخروية، والمصلحة الشخصية على المصلحة العامة من غير مبرر شرعي، وهو الذي يصلح ظاهره لأجل الناس ويقبح باطنه، : وهو التدين الذي يبدو صاحبه قديساً أو «ملاكاً» أمام الخلق، ويصبح «إبليساً» أمام الخالق. وصاحب التدين الكاذب : لا يقر له قرار، وليس له حد يقف عنده، فالمحرك الرئيس له هو مصالحة الخاصة، فدرجة تدينه تزداد أو تنقص كلما غلا أو رخص هدفه المنشود، وشعاره الدائم هو «حيثما كانت مصلحتي فثم ديني».

والمنافقون في زمن النبوة كانوا يلجؤون إلى التدين المغشوش لمآرب في أنفسهم، وقد أظهرت عوراتهم الآيات القرآنية، فقال تعالى : {إِذَا جَاءَكَ الْمُنافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنافِقِينَ لَكَاذِبُونَ} 1 اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ 2 ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ} [المنافقون: ١ - ٣] ، وأصحاب التدين الشكلي يدعون ويحثون الناس على فعل الخيرات، واجتناب المحارم، ولكن لا يخضع انفسهم لهذا القانون ، ومصدق ذلك قول الحبيب المعصوم صلى الله عليه وسلم كما في صحيح البخاري : « يُجَاءُ بِالرَّجُلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ ، فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُهُ فِي النَّارِ ، فَيَدُورُ كَمَا يَدُورُ الْجَمَارُ بِرَحَاهُ ، فَيَجْتَمِعُ أَهْلُ النَّارِ عَلَيْهِ ، فَيَقُولُونَ أَيْ فُلَانٌ ، مَا شَأْنُكَ أَلَيْسَ كُنْتَ تَأْمُرُنَا بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ قَالَ كُنْتُ أَمُرُكُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَلَا آتِيهِ ، وَأَنْهَأُكُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَآتِيهِ » ..

ومن أبرز علامات الوعي الديني في حياتنا : - العبادة الموسمية وهي عبارة عن أداء شريحة واسعة من المسلمين للعبادة في أوقات دون أوقات وفي أمكنة دون أمكنة ، يتجلى هذا خاصة في شهر رمضان حيث يهرع الجميع للاستجابة لأوامر الله وتشهد المساجد اكتظاظا لا مثيل له وحركية عجيبة وأجواء منعشة تسر الناظرين ولكن المصيبة العظمى والمتكررة سنويا أن يتفلت هؤلاء الرمضانيون من العبادة بمجرد انقضاء شهر الرحمة بعد أن تذوقوا حلاوة الإيمان ولذة القرب من الله ومتعة الطاعة والمناجاة ، يعودون من جديد إلى الذنوب والمعاصي ،

كما نلاحظ هذا أيضا أيام الجمع والأعياد وليلة السابع والعشرين من رمضان حيث يقصد الملايين من المسلمين عفو الله ثم ينسون العبادة في بقية الأيام والليالي ونلاحظ هذا أيضا في موسم الحج حيث يأتي الناس من كل فج عميق رجالا وركبانا لتلبية نداء سيدنا ابراهيم، ثم وبكل سهولة ينقضون غزلهم من بعد قوة أنكاثا..

ومن مظاهر الوعي الديني الزائف: - عدم تأثير العبادة في سلوك المسلم أثناء حركته في الحياة الخاصة والعامة : فنفس الشخص الذي يصلي في الصف الأول ويندرف الدمع خشوعا ويأتي بالنوافل والأوراد كلها ، هو نفسه الذي يكذب في السوق ويغش في البضاعة ، ويطفف في الميزان، ويأكل حقوق الناس ، ويؤذي إخوانه وأهله وجيرانه.

مصادر الوعي الديني

تتعدد مصادر الوعي الديني عند الافراد وهذا التعدد يرتبط بقدرة العقل الإنساني على إدراك المعارف الدينية اما وفقاً لرؤية شمولية كلية تربط الجزء بالكل ولا تعزله عن سياقه التاريخي، وبما يتسق وتحقيق المقاصد الكبرى للعقيدة ، واما وفقاً لرؤية ضيقة ، سواء أكانت دينية أم ثقافية أم إعلامية أم غيرها، أول رؤية خطاب ديني غير رسمي، سواء أكان مغرضاً أم غير مغرض. فالمسلم "خليفة الله على الأرض" وهو مطالب بإعمال العقل والتفكير بحسب ما جاء في الكثير من آيات القرآن الكريم. وهو ليس مجرد متلقي لفهم النصوص الدينية كيفما تصدر له وتأويلها.

اما العقل الإنساني الذي يقبل ما كل ما يُقدم له من معارف، وما يُدرب عليه من قيم وما يُفرض عليه من أفكار دينية اجتهادية دون غربلتها، وبمعزل عن فهمها في سياقها التاريخي، وكلما كانت المعارف الدينية غير دقيقة وجزئية وأنية، اقتربت من التشويه الذي يُفضي إلى تشويه فهم الشخص للدين ووعيه به. وهذا ما يمارسه الافراد او حتى بعض الدعاة الجدد في الراهن العربي الإسلامي.

وتتعدد المصادر التي ينهل منها مختلف الشرائح الاجتماعية وعيها الديني فاذا كانوا أطفال او شباب فالأسرة هي اللبنة الأولى لتغذية الطفل بالقيم والمفاهيم الدينية بالإضافة الى بعض المؤسسات الأخرى كالمسجد والنادي والمدرسة والأصدقاء وحتى الاعلام خاصة التلفزيون ومواقع التواصل الاجتماعي وهذه الأخيرة فيها الغث والسمين رغم ادعاءها بالموضوعية ونهلها من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة واجتهاد الصحابة والعارفين.

العولمة والتكنولوجيا وصناعة الوعي

اليوم يعتبر الاتصال القوة المحركة الأساسية لظاهرة العولمة، والتي جعلها تشكل واقعاً قائماً على الأرض. ومع تطور الثورة التقنية الجديدة والتي بدأت تكتسح العالم منذ ما يزيد على العشر سنوات الأخيرة من القرن المنصرم. فقد يسرت ربط أجزاء العالم، باستخدام تقنية المعلومات مستندة لشبكة الاتصالات العالمية الهائلة القدرة، وتجعل من العالم أكثر اندماجاً وانكماشاً وأكثر ترابطاً وتداخلاً.

إن التطور التكنولوجي في مجال الاتصال الجماهيري كالتلفزيون ، والمدونات ومنصات الوسائط المتعددة(يعد أداة هامة في مجال التواصل ونشر الدعوة الدينية بين الحضارات . حيث تلعب وسائل الاعلام دورا في تشكيل الفهم الديني والهوية الدينية لدى الجمهور ،وتعد أداة تعليمية هامة في تشكيل اتجاهات الرأي العام عن المذاهب والسلطة الدينية، وتساهم في عملية التواصل الديني ونشر وتعميق المفاهيم والمبادئ والقيم الحضارية بين مختلف الجماعات .فوسائل الإعلام بصفة عامة والإنترنت بصفة خاصة لهما دور هام في التأثير علي عقول المتلقين وعواطفهم بإمكاناتهم التي تسمح لهما بتكوين القيم المراد استهدافها، بل والمساهمة في إمداد المتلقين بالمعارف الدينية ، وبهذا يمكننا القول بأن وسائل الإعلام أصبحت من المصادر المؤثرة والفعالة في تشكيل الوعي الديني لدي الأفراد .

وفي المقابل أثبتت بعض الدراسات الدور الخطير الذي تقوم به وسائل الاتصال الحديثة في تنسيق الأخبار، بما يوافق مصالح الأقوياء أو الاديولوجيين ويقول احد الباحثين في مجال الاعلام العربي: "إن وسائل العولمة تعتمد في تشويه بعض المعلومات والصور وقلب الحقائق بما يتماشى وإيديولوجية العولمة"¹.

ويضيف قائلا: "إن ظاهرة العولمة مزاياها وانعكاساتها لا تحرر الشعوب من الظلم، ولكنها عممت دائرة الاستبداد لتمتد إلى دول العالم الأخرى، ولا تلغي الفقر ولكنها زادت الأغنياء غنى والفقراء فقرا، ولا تتيح المعرفة لجميع البشر، ولكنها عمدت إلى احتكار المعلومات ، لأنها ارتبطت ارتباطا وثيقا بالهيمنة السياسية والتوسع الاقتصادي وبالتطور التكنولوجي."²

لقد بات الإعلام أحد أهم الأسلحة العسكرية الفتاكة، التي تستخدمها القوى المسيطرة والمؤسسات الكبرى، لما يناط بالسلطة الرابعة من مهام تصب نتائجها غالبا في دوائر الاستخبارات، ومن ثم في مراكز صنع القرار، حيث تفرض السلطة الإعلامية موقفها بما يوافق المصالح ويعززها.

وتعمل شبكة الإنترنت على تقديم الخدمات المعلوماتية إلى الجماهير الواسعة من العالم بدون رقابة من الدولة التي يعيش فيها الأفراد، كما تمكنهم من الوصول إلى أي مكان من العالم دون إذن من الدولة و دون تذكرة سفر. وبواسطة هذه الشبكة المعلوماتية تنتقل المعلومات بالصوت والصورة وبصيغة مكتوبة وفي ثوان قليلة، من أقصى الأرض إلى أي مكان آخر من العالم، خاصة بعد توسيع طرقها وإنشاء ما يسمى الطريق السريع للمعلومات، وبالفرنسية *l'autoroute de l'information* وهي بدورها مترجمة عن كلمة *information superhighway* الانجليزية

دور تكنولوجيا الاتصال

تعمل تكنولوجيا الاتصال على :

1. خلق مجتمعات المعلومات³: هي المجتمعات المتطورة تكنولوجيا تسيرا لها من المجتمعات الزراعية أو الصناعية، و تؤثر تكنولوجيا الاتصال على المجتمع من خلال بث و توزيع المعلومات المنتجة في أشكال مختلفة و استهلاكها من طرف مستخدميها من الأفراد.

2. تنمية الاقتصاد عن طريق نشر الإشهار و تشجيع الاستثمار في القطاعات الهامة مثل السياحة و الثقافية.

¹ - عبد المالك رومان الدناني ، الإعلام العربي وتحديات العولمة، "دراسة في النموذج البث الفضائي، بغداد، العراق، 2004، " ص: 283

² - عبد المالك رومان الدناني ، الإعلام العربي وتحديات العولمة، "دراسة في النموذج البث الفضائي، بغداد، العراق، 2004 ص: 281

³ Society Information

3. أحداث ظاهرة التخطي المعلوماتي للحدود الجغرافية وهنا يظهر على الساحة ما يعرف بالسيطرة الثقافية أو الاقتصادية أو الإعلامية وهي جميعها أبواب للعملة بالإضافة إلى هذا فإن تكنولوجيا الاتصال قد أحدثت تغييرات كبرى في الحياة.

وغيرت النظرة إلى الإنسان وزادت من أهمية اعتماده على

غير أن المعلوماتية هذه ليست كلها ايجابية فهناك بعض الجوانب السلبية التي تصاحبها.

من هذه السلبيات نذكر ما يلي:

أن أخطر تحديات الثورة المعلوماتية قد أنجبت من الناحية الاقتصادية جشعا كبيرا ورفعت شعار الربح السهل و السريع، من أمثلة ذلك " تجارة السلاح والمخدرات ".

- البعد المادي الذي يظهر على النهضة الحديثة.

- اهتمت المعلوماتية على تأسيس بناء حضاري زائف قائم على المظاهر والقشور

- بتركيزها على السلب والنهب ومفرطة في جوهر الإنسان " الروح والعقل والأخلاق ".

- من المفروض أن تساهم المعلوماتية في تنمية معارف الفرد و تطوير أفكاره من أجل تحسين حياته لكن الملاحظ أن المعلوماتية تحولت إلى وسيلة تجارية تباع من خلالها أدوات اللهو والرفاهية والفساد أحيانا، و تحولت الكرة الأرضية إلى سوق للمتعة واللذة.

- المعلوماتية تنمي ثقافة العدا بفضل إنتاجها للعنف التلفزيوني والسينمائي.

- المعلوماتية تقضي على أشكال التنوع والتعدد و معها تضعي الهويات و القيم الدينية و المفاهيم الأخلاقية الخاصة بكل أمة.

- تكريس مبدأ الإنسانية و قيم النفعية و الاتجاه الغرائزي المجرد من أبعاده الإنسانية و هذه المعايير تزيل المضامين الأخلاقية و الروحية.

- ووفق هذا العالم يتشكل الوعي الديني ويصاغ اما تعميقا صحيحا وتنويرا واما تشويها وتزييفا .

- موقف كانط

يرى كانط ان التنوير إنه خروج الإنسان عن مرحلة القصور العقلي وبلوغه سن النضج أو سن الرشد." و

عرّف القصور العقلي على أنه "التبعية للآخرين وعدم القدرة على التفكير الشخصي أو السلوك في الحياة "

من هذا المنظور جاءت صرخته التنويرية لتقول: "اعملوا عقولكم أيها البشر! لتكن لكم الجرأة على استخدام عقولكم! فلا تتواكلوا بعد اليوم ولا تستسلموا للكسل والمقدور والمكتوب. تحركوا وانشطوا وانخرطوا في الحياة بشكل إيجابي متبصر. فאלه زودكم بعقول وينبغي أن تستخدموها.

ومن هنا، يضع كانط شرط " الحرية " بوصفه مطلباً ضرورياً لنشأة التنوير واستمراره

عصر التنوير¹ (Age of Enlightenment).

ولقد وضع كانط في مجال الأخلاق مجموعة من القوانين الخاصة بالإنسان

القانون الأول قانون الكونية universal law والذي تقوم فيه بتعميم باعثك على جميع الأشخاص وجعله قانوناً كونياً . هذا القانون هو أهم قوانين "كانط" الأخلاقية. فالأخلاق كما يحددها هذا القانون هي "قيّم" وضعها الفرد للتعايش مع الغير

لا يؤمن احدكم حتى يحب لآخيه ما يحب لنفسه

القانون الثاني: "تصرّف كما لو أنك تستعمل الإنسانية -بشخصك أو شخص غيرك- كنهاية وليست كوسيلة". بعد أن حدد القانون الأول المبدأ الأخلاقي كتصورٍ ومفهوم.. يأتي القانون الثاني ليحدد لنا مادة هذا المبدأ. وهذا القانون يحمل تصوراً مهماً للإنسانية حسب فلسفة "كانط". فالإنسان عند كانط "كينونة عقلية" و "إرادة حرة". ولذلك تكون هذه الإرادة بدايةً ونهايةً لذاتها فقط، ولا يمكن أن تكون وسيلةً لإرادةٍ إنسانية أخرى منفصلة. فلا تستطيع على سبيل المثال، أن تقتل شخصاً للوصول إلى ماله.. لأنك جعلت منه وسيلةً للوصول إلى النتيجة التي تبحث عنها إرادتك. يدعى هذا القانون بقانون النهايات.

القانون الثالث: "تصرّف حسب بواعث شخصي يصدر قوانين كونية لمملكةٍ مفترضة من النهايات". هنا.. يقدم "كانط" صيغته الثالثة والمشهورة بمملكة النهايات the kingdom of ends. أساء الكثيرون فهم هذه المملكة التي رسمها "كانط" وظنوا أنها شئ شبيه بالمدينة الفاضلة.

فبعد أن قدم القانون الأول تصوره عن المبدأ الأخلاقي، وجاء القانون الثاني ليقدم مادته.. أكمل القانون الثالث الصورة بأن جعل من الفرد مصدرَ تشريعٍ -لهذه المملكة المكونة من الذوات والإرادات الحرة- والتي تصدر القوانين لتتبعها كإرادة مفردةٍ عاقلة.. متصورةً أن الآخرين يجب أن يتبعوا هذه القوانين، لا لأنّ هذه الكينونة الفردية تملك حقاً عليهم، ولكن لأن المنتمين سوف يتبعون نفس القوانين الثلاثة، وبالتالي سيصلون إلى نفس النتائج. هذا هو التصور "الكانطي" لمشكلة الأخلاق.. والذي يقوم أولاً بتعميم الباعث ، وأهمية معاملتها كبداية ونهاية

¹ مصطلح يشير إلى القرن السادس عشر في الفلسفة الأوروبية وغالباً ما يعتبر جزءاً من عصر أكبر يضم أيضاً عصر العقلانية. المصطلح يشير إلى نشوء حركة ثقافية تاريخية دعت بالتنوير والتي قامت بالدفاع عن العقلانية و مبادئها كوسائل لتأسيس النظام الشرعي للأخلاق والمعرفة بدلا من الدين المزيف

للعمل الأخلاقي، ليقوم أخيراً بطرح هذا التصور الافتراضي حيث يكون فيها الفرد المشرّع لهذه المبادئ الأخلاقية هو المتبع الأول لها.

يؤكد الفيلسوف "كانط" أن الإنسان بصفته "إرادة حرة free will" وكيونة عقلية "rational being" قادر على استخلاص المثل الأخلاقي الأسى ومن ثم اتباعه.. ولكن المشكلة الكبرى كما يعرضها "كانط" تكمن في صعوبة ملاحظة التضليل الذي تمارسه علينا رغبتنا الشخصية "our subjective desire" والطريقة الخفية التي تتبعها في عرض النتيجة كمسوغ أخلاقي للعمل الذي نزمع القيام به. تتضح معالم الفلسفة الأخلاقية عند "كانط"- أثناء مناقشة الأعمال الأخلاقية كمبادئ تنتهي لزماً بنتيجة. فهناك الدوافع والبواعث maxims التي تدفعنا لممارسة عمل معين..

وهناك الإرادة will التي تنظر في هذه الدوافع لتقرر اتباعها من عدمه.. وهناك القرار decision الذي يتم بعد أن تنظر الإرادة في الباعث.. وهناك العمل action الذي يتم بعد اتخاذ القرار.. وهناك الظروف والوسائل means التي تحيط بالعمل عند حدوثه.. وهناك النتيجة result التي تحدث بعد أن نقوم بالعمل.

مدرسة فرانكفورت

قامت النظرية النقدية (مدرسة فرانكفورت): التي اعتمدت أسلوباً من التفكير ارتبط أساساً بما صار يعرف بالنظرية النقدية، وتنطلق هذه النظرية من فكرة تقول: إن هناك شيئاً إنسانياً في جوهره، وهو قدرة البشر على العمل يداً بيد لتحويل بيئتهم للأفضل، وهذه الفكرة تزودنا بمعيار نقيّم بواسطته المجتمعات القائمة وننقدها، فالمجتمعات التي تقطع أوصال علاقاتنا الاجتماعية والتي تمنعنا بشكل أو بآخر من التعاون معاً، وتسلبنا القدرة على الاختيار واتخاذ القرارات بالتعاون مع بعضنا البعض، تلك المجتمعات يمكن أن نخضعها لنقد منظم يؤكد أنها مجتمعات قمعية وغير حرة.

وقد ميزت هذه النظرية بين نوعين من الوعي: الوعي الحقيقي، والوعي الزائف كمفهومين مجردين، فالوعي الحقيقي يعني:

قدرة العقل على إدراك الأمور إدراكاً حراً مستمداً من تجاربه الذاتية، ورؤيته للمصلحة التي تحقق إنسانيته وحرية ورغباته الحقيقية، وليست تلك المصالح المرتبطة بالحاجات الآنية الجزئية. وتؤكد النظرية أن لدى الفرد القدرة على الوصول لهذا الوعي من خلال حركة دءوبة مستمرة للعقل في نقده للمجتمع على أسس علمية، وفي ضوء المصالح المشتركة.

والوعي الزائف يعني:

إدراك الفرد للمصلحة من خلال العقل الذي يتعامل مع الأفراد والعلاقات كأدوات لتحقيق المصالح التي يروج لها الفكر السائد. وعلى هذا فالتعريف يشير إلى أن النقطة الأساسية التي تميز بين الوعي الحقيقي، والوعي الزائف هي القدرة النقدية للشخص التي تمكنه من إعادة صوغ حياته، ومجتمعه. والجدل هنا وسيلة للإدراك

والفهم الذي يتجاوز الآني، ويدرك الآتي والمشارك مع من هم في مثل ظروفه الاقتصادية والاجتماعية، فيصل للوعي الحقيقي. في حين أن الوعي الزائف وعي تبريري له مصالح مباشرة، وعي يفتقد الرؤية النقدية، وله تصور جزئي ومشوّه ومغلوط للواقع المحيط، فهو بمثابة صورة ذهنية مشوّهة يرسمها الفرد للواقع الموضوعي، من خلال إدراكه وتصوره المستمد من عقله ووجدانه.

ماهي مخاطر الوعي الديني الزائف؟

فأصحاب الوعي الديني الزائف موجودون في كل زمان ومكان، ويطلون رؤوسهم أو يختفون ويتوارون عن الأنظار بحسب مصالحهم، ويجيدون التلؤن والتقمص بقوالب مختلفة ومتنوعة، فهم آفة الأمم، وسبب الانتكاسة والهزائم التي تعاني منها أمة الإسلام في الأزمنة المتأخرة.

يقول الشيخ محمد الغزالي متحدثاً عن أثر هذا التدين المغشوش قائلاً: وهذا "التدين المغشوش يقدم الهزيمة ويصنع التخلف"، [من كتاب الغزو الثقافي يمتدّ في فراغنا].

أما مواقع التواصل الاجتماعي التي ساهمت في القدر الأكبر من هذه المشكلة، حيث انتشرت هذه الأفكار المشوهة للدين بين الشباب بلا حسيب أو رقيب، كما انفتح الشباب على ثقافات وأفكار غريبة ومختلفة بصورة مفاجئة، ومن بينها تلك التي تبث أفكار التشكيك والإلحاد، عن طريق بث الشبهات حول القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة، ومسائل القضاء والقدر، والحكمة والتعليل في أفعال الله عز وجل، والظعن في بعض أحكام الشريعة الإسلامية، وأخرى تبث أفكاراً متطرفة ومتشددة وكلها مغالاة في الدين، فنجد شاباً إرهابياً، بسبب قلوب خاوية أو ضعيفة الإيمان فتمكنت منها، إلى جانب بعض القنوات الدينية التي تنشر الفتاوى المجرمة دينياً وقانونياً وهي تمثل حاضناً محتملاً لأفكار الإلحاد والإرهاب

الخاتمة

إن اعتبار الإنسان هو جوهر المشكلة الحضارية والاساس في الحركة التاريخية التي ينجزها أي مجتمع في مرحلة من مراحل تاريخه تتطلب منا إعادة ترتيب سلم أولويات اهتماماتنا الفلسفية والفكرية والتربوية لعلاج مشكلات واقعنا الحضاري ومنها ترشيد الوعي الديني لدى الافراد.

وهو ما يتطلب منا الحسم في مسألة الحذر من المصادر الصانعة للوعي المزيف .

وذلك بتعزيز أهمية دور الأسرة في التوعية الدينية لأن دور الأسرة في هذا المجال كبير، لا بد أن تسعى لخلق وتنمية الوعي الديني لأفرادها وخصوصاً الصغار منهم، فيتم بناء الطفل في الجانب الديني بصورة سليمة، ويجب أن يبدأ هذا النوع من التعلّم الديني منذ الصغر، لكي لا يقع الأولاد في أخطاء قد تؤدي إلى ابتعادهم عن الله عز وجل ومعصيته، ويجب على العائلة مراقبتهم، وإبعادهم عن أصدقاء السوء، وعلى الآباء تثقيف أنفسهم بصورة تجعلهم

قادرين على تربية أبنائهم بطريقة جيدة على أصول وأفكار وفرائض الدين، وإعطائهم الوعي الكافي في هذا الجانب المهم من رحلة الإنسان.

وأخيرا في اعتقادي ان سبب الانتكاسة والهزائم التي تعاني منها أمة الإسلام في الأزمنة المتأخرة. هي البعد عن الله فالواجب على كل شخص أن يتقي الله تعالى وأن يكون هدفه ورأس ماله الحقيقي إخلاص العبادة لله تعالى، وأن يكون شعاره ، قول الله تعالى : {فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا} [الكهف: 110].